كما يعلم انه لم يحدث الا بسبب يحدثه ولو بنى الانسان سقفا ولم يدع شيئا
يمسكه لقال له الناس هذا لا يدوم ولا يبقى وكذلك اذا خاط الثوب بخيوط
ضعيفه وخاطه خياطة فاسدة قالوا له هذا لا يبقى البقاء المطلوب فهم
يعلمون بفطرتهم افتقار الامور المفتقرة الى ما يبقيها كما يعلمون افتقارها
الى ما يحدثها ويثبتها وما يذكر من الامثال المضروبة والشواهد المبينة لكون
الصنعة تفتقر الى الصانع في حدوثها وبقائها انما هو للتنبيه على ما في
الفطرة كما يمثل بالسفينة في الحكاية المشهورة عن بعض اهل العلم الذي قال له
طائفة من الملاحدة ما الدلالة على وجود الصانع فقال لهم دعوني فخاطري
مشغول بامر غريب قالوا وما هو قال بلغني ان في دجلة سفينة عظيمة مملوءة
من اصناف الامتعة العجيبة وهي ذاهبة وراجعة من غير احد يحركها ولا احد
يقوم عليها فقالوا له مجنون انت قال وما ذاك قالوا هذا لا يصدقه عاقل فقال
فكيف صدقت عقولكم ان هذا العالم بما فيه من الانواع والاصناف والحوادث
العجيبة وهذا الفلك الدوار السيار يجري ويحدث هذه الحوادث بغير محدث
وتتحرك هذه المتحركات بغير محرك فرجعوا على انفسهم بالملام وهذا اذا قيل
في هذه السفينة اثبتت نفسها في الساحل بغير موثق اوثقها ولا رابط
ربطها كذبت العقول بذلك فهكذا اذا قيل له الحوادث تبقى وتدوم بغير مبق
يبقيها ولا ممسك يمسكها ولهذا نبه سبحانه على هذا وهذا فالاول كثير واما
الثاني ففي مثل قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا ومن اياته ان تقوم السماء
والارض بامره وقوله رفع السماء بغير عمد ترونها وهذا الابقاء يكون بالرزق
الذي يمد الله به المخلوقات كما قال الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون وهذا

الذي

الذي ذكرناه من ان نفس الاعيان المحدثة كالانسان يستلزم وجود الصانع
الخالق وان علم الانسان بانه مصنوع يستلزم العلم بصانعه بذاته من غير احتياج
الى قضية كلية تقترن بهذا وهو معنى ما يذكره كثير من الناس مثل قول
الشهرستاني اما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست اراها
مقالة ولا عرفت عليها صاحب مقالة الا ما نقل عن شرذمة قليلة من
الدهرية انهم قالوا كان العالم في الازل اجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة
فاصطكت اتفاقا فحصل العالم بشكله الذي تراه عليه قال ولست ارى صاحب
هذه المقالة ممن ينكر الصانع بل هو معترف بالصانع لكنه يحيل سبب وجود
العالم على البخت والاتفاق احترازا عن التعليل فما عدت هذه المسئلة من
النظريات التي يقام عليها برهان فان الفطرة السليمة الانسانية شهدت بضرورة
فطرتها وبديهة فكرتها بصانع عليم قادر حكيم افي الله شك ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم وان هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك انهم يلو
ذون اليها في حال الضراء دعوا الله مخلصين له الدين واذا مسكم الضر في البحر ضل
من تدعون الا اياه قال ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وانما
ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشرك امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاعلم انه لا اله الا الله ولهذا جعل محل النزاع بين الرسل وبين
الخلق في التوحيد ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا
واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكرت
ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال وقد سلك المتكلمون
طريقا في اثبات الصانع وهو الاستدلال بالحوادث على محدث صانع وسلك
الاوائل طريقا اخر وهو الاستدلال بامكان الممكنات على مرجح لاحد طرفي

Copyright © King Saud University